الرجل الخفي

محمود سالم

الرجل الخفي

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الرجل الخفي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٥٧٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
علامة الفأر!	١١
هل كل شيءٍ على ما يرام؟!	١٥
حديث مع رجل أسمر!	٢١
لغز الصورة البيضاء!	٢٧
اللقاء في باريس!	٣٣
ثم كانت المفاجأة!	٣٩
إمبراطورية «ألانكا» الأعظم!	٤٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

علامة الفأر!

كان كل شيء هادئًا تمامًا في المقر السري، حتى الساعة الإلكترونية الموجودة كانت صامتة هي الأخرى، ولم يكن يصدر منها إلا تلك الإشارات الكهربية التي تُنبئ عن الوقت، ثم فجأة ... فُتحت الأبواب الصخرية بلا صوت، واندفعت سيارات الشياطين إلى الدَّاخل، فأُغْلِقت الأبوابُ. وفي لحظة، كانوا جميعًا في طريقهم إلى حجراتهم الخاصة. كانت لا تزال هناك ساعةٌ يستطيع الشياطين خلالها أن يبدلوا ملابسهم، أو يستريحوا قليلًا، وما إن انتهَت الساعة، حتى أخذوا طريقهم إلى قاعة الاجتماعات في صمت. كانوا جميعًا ينتظرون بداية مغامراتهم الجديدة، استقرُّوا في أماكنهم، دون أن ينطق أحدهم بكلمة. ولم تمر لحظاتٌ حتى سمعوا صوت خطوات رَقْم «صفر» تقترب، جذب انتباههم صوت الخطوات التي ظلَّت تقترب حتى توقفت في النِّهاية. لحظة، ثم جاءهم صوت رقم «صفر»: أهلًا بكم في المقر السري. ثم صمت رقم «صفر» للحظة، كان خلالها صوت أوراقٍ تُقلب يتناهى إلى أسماع الشياطين. طالت اللحظة ... حتى ظن الشياطين أنَّ وقتًا طويلًا قد انقضى. قال رقم «صفر» أخيرًا: إننا أمام ظاهرةٍ غريبةٍ هذه المرة، إن بعض الرجال النَّابهين يختفون في ظروفٍ غريبة. أمامي الآن عددٌ من التقارير من عملائنا في جميع أنحاء العالم ... سكت رقم «صفر» قليلًا ثم قال: هذا تقرير من عميل لنا في «الخليج» يقول: اختفى مستر «كابري» خبير البترول فجأة، دون سببٍ معين. وكان يعمل في إحدى شركات البترول بمرتبٍ ضخم، ورغم التحريات الكثيرة عنه، إلا أنه لم يُعْرف سببٌ لاختفائه، كذلك لم تظهر جثته، إن كان قد قُتل.

نظر الأصدقاء إلى «رشيد»، ثم إلى بعضهم، بينما كان رقم «صفر» يُقلِّب بعضَ الأوراق ... مرة أخرى جاءهم صوت رقم «صفر»: تقرير آخر من عميلٍ لنا في «الهند»

يقول: اختفى مستر «جوك» الخبير الزِّراعي الذي أوفدته الأمم المُتَّحِدة، ولم يعثر له على أثر. اهتمَّت الحكومة الهندية بالحادث، وبرغم الحراسة المشددة التي فُرِضَت وقت اختفائه على جميع المطارات والموانئ والسكك الحديدية، إلا أنَّه لم يُعثر عليه، وحتى الآن، لم يُستدل على أي أثرٍ له ... صمت رقم «صفر» قليلًا، وتناهى إلى أسماع الشياطين صوتُ الأوراق التي يُقلبها رقم «صفر». ثم قال بعد قليل: تقرير ثالث جاءنا من عميلنا في «الكونغو» يقول: اختفى الدكتور «فيلمنج» أستاذ الجراحة المعروف بسمعته العالمية، دون سببٍ معروف، بالرغم من أنه كان يُجري بعض التجارب الجراحية على استئصال جزءٍ من المعدة بدون ألم، ورغم أنَّ الشرطة هناك قد اهتمَّت اهتمامًا شديدًا، إلا أنها لم تَصِل إلى شيء.

كان الشياطين يُتابعون صوت رقم «صفر» وهو يقرأ التقارير التي وردت إلى المقر، غير أنَّ أحدًا منهم لم يُعلق بشيء، كانوا لا يزالون ينتظرون نهاية الموقف، حتى يمكن أن يُكوِّنوا فكرة كاملة. جاءهم صوت رقم «صفر» يقول: هكذا تكرَّرت أحداث اختفاء هؤلاء الرِّجال النَّابهين، اختفى خبير «ماس» في «تنجانيقا» وأستاذ في اللغات في جامعة «تنزانيا»، وصيدلي كبير من «اليابان»، هكذا يتكرَّر الاختفاء دون سببٍ معروف. توقَّف رقم «صفر» قليلًا ... ثم قال: سأعود بعد دقائق ...

كانت هناك إشارةٌ ضوئيةٌ صفراء قد لمعت ... فعرف الشياطين أنَّ هناك رسالةً إلى المقر السري، نظروا إلى بعضهم، كانت علامات الاستفهام هي التعبير السائد على وجوههم. مرَّت دقائق، بدَتْ ثقيلة تمامًا ... حتى سمعوا صوت أقدام رقم «صفر» تقترب، فشدَّت انتباههم، واتجهوا بأبصارهم إلى حيث يسمعون رقم «صفر». لحظة ثم قال: جاءتنا رسالةٌ عاجلةٌ من «أمريكا» تقول: إنَّ دبلوماسيًّا كبيرًا قد اختفى، ورغم سرعة تحرك المخابرات المركزية الأمريكية إلا أنَّ الدبلوماسي لم يظهر، ولم يترك خلفه أي أثر ... صمت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: وهكذا ترَوْن أن الذين يختفون دائمًا من الرجال النَّابهين أو العُلماء؛ فمنهم المهندسون والأطباء، فهل عصابة «سادة العالم» تتحرَّك لعملٍ ما؟ أم أنَّ هناك عصابةً أخرى قد ظهرَت أمامنا الآن؟ نحن لا ندري، وما يزيد الأمر صعوبة ... أنَّ هؤلاء الرِّجال قد اختفَوْا من مُختلف أنحاء العالم، وهذا يعني أنَّ المِسَاحة التي يتحرَّكون داخلها هي العالم كله ... عندما سكت رقم «صفر» كان الهدوء يغطي كل شيء ... حتى إن الشياطين كانوا يسمعون صوت أنفاسهم، طالت اللحظة التي سكتها رقم «صفر»، وبدأ القلق يزحف إلى نفوس الشياطين. غير أن رقم «صفر» قطع الهدوء والقلق بقوله: إنَّ الذي يجعلنا نتأمل هذه الظاهرة؛ هي أن هؤلاء الرجال المختفين يشتركون في صفةٍ واحدة، هي الامتياز. هناك

شيء آخر هام، توصَّل إليه مركزنا للبحوث، هو أن هؤلاء الرجال لهم علامة مميزة في باطن الذراع اليمنى، علامة تشبه الفأر الصغير، وهذا يعني أن هؤلاء الرجال ينتمون إلى إحدى المنظمات، ولقد جرت دِرَاسة تاريخية للمنظمات الموجودة في العالم كله، إلا أنه لم يُستدل على أنَّ منظمةً ما كانت تأخذ الفأر الصغير شعارًا لها ... وفجأة أضيئت الإشارة الصفراء، فسكت رقم «صفر» ثم أخذت أقدامه تبتعد، كانت هناك إشارة في الطريق إلى المقر ... وكان الصمت يلف كل شيء ... بينما كان الشياطين يتململون في أماكنهم؛ فلقد ظهرت بادرة جديدة، كأنَّها الضوء ... بتلك الإشارة التي تُشْبه علامة الفأر الصغير وفي الذراع اليُمنى بالذَّات ... عاد رقم «صفر» وقال: إشارة وردت إلينا من مركز البحوث، تقول إنَّ هؤلاء الرجال لهم صفات مشتركة؛ طوال القامة ... عيونهم حادة كأنها الصقر، قليلو الابتسام، يظهر الجد الشديد على وجوههم ... وربما الحزن أيضًا ... يميلون إلى الألوان الدَّاكنة، ويحبُّون موسيقى «البلوز» تلك التي كان يُحبها الأمريكيون الأوائل ... أو العبيد الذين خطفوهم من أفريقيا في العصور المظلمة ... وباعوهم في أماكن متفرقة من العالم ... يقول التقرير أيضًا: إنَّ هؤلاء الرِّجال لم يكن أحدٌ منهم يعرف الآخر.

سكت رقم «صفر» وظَلَّ الشياطين ينتظرون بقية المعلومات ... طال الصمتُ فأخرج «أحمد» مفكرته الصغيرة وقلمه، ثم بدأ يُدَوِّن بعض المعلومات ... كانت «زبيدة» تتأمل «أحمد» وهو غَارقٌ في تدوين ما يكتب ... أمَّا بقية الشياطين فقد كانوا ينتظرون بقية حديث رقم «صفر» ... بعد لحظات، تحدث رقم «صفر»: هذه كل المعلومات التي لدينا حتى الآن، فإذا جاءت معلومات جديدة، فسوف أخبركم بها ... مرت لحظات، ثم أكمل حديثه: إنْ كانت لديكم أسئلة، فإنني في الانتظار ... هدأت القاعة بعد صمت رقم «صفر». نَظَر الشَّياطين إلى بعضهم ... ولم ينطق أحدهم بكلمة ... قال رقم «صفر»: الآن، تستطيعون الانصراف ... أدعو لكم بالتوفيق ... وما كاد الشياطين يقفون في أماكنهم للانصراف ... حتى ظهر الضوء الأصفر وجاء صوت رقم «صفر»: ينبغي أن تنتظروا قليلًا ... ربما كان هناك شيء جديد ...

جلس الشياطين ... بينما كانت خطوات رقم «صفر» تبتعد كان الشياطين يفكرون؛ إنها مساحةٌ كبيرةٌ تلك التي يجب أن يتحرَّكوا داخلها، غير أنها مسألةٌ مُمْتِعة أن يقابلوا هذا التحدي، صحيح أن هذه المعلومات طيبة، لكنها أمام مساحة العالم، وأمام عدد العلماء والأطباء وكل الرجال النابهين؛ تُعتبر لا شيء، وهذا ما يجعل التحدِّي أمام الشياطين كبيرًا ورائعًا في نفس الوقت. عادت أقدام رقم «صفر» ... حتى توقفت وتَعَلَّقت أنظار الشياطين

بمكان الصوت. قال رقم «صفر» بطريقةٍ جعلت الشياطين يبتسمون: هذه أهم رسالة جاءتنا، أمام هذا اللغز المحير، الرسالة جاءتنا من عميلنا في «باريس» ... يقول: إنَّ رجلًا زار مسيو «جان» خبير العطور ... ثم اختفى الخبير في اليوم التالي، الزائر يحمل تقريبًا نفس الصفات؛ فهو طويل القامة ... جاد الملامح، يميل إلى الحزن ... أسمر اللون، ويتحدث الفرنسية بطلاقة، وإنَّ عملاءنا في المدن الفرنسية قد شاهدوا هذا الرَّجل في أيامٍ مُتباعدة، غير أنَّه لم يحدث اختفاء آخر بعد اختفاء مسيو «جان». وقد حدث اتصالٌ بالشرطة الدولية — الإنتربول — لمُراقبة ظهور هذا الرجل، لكنه لم يظهر مرة أخرى ... ضحك رقم «صفر» وعلَّق قائلًا: وإلا كانت الشرطة قد قبضت عليه ...

انتهى الاجتماع ... عندما قال: الآن يمكنكم أن تنطلقوا ... أتمنَّى لكم التوفيق ... أخذت أصوات أقدام رقم «صفر» في الاختفاء عندما كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى خارج القاعة؛ فقد بدأ التحدي.

هل كل شيءٍ على ما يرام؟!

فُتحت أبواب المقر السري، الصخرية، فانطلقت سيارات الشياطين. كانوا قد حددوا لأنفسهم نقطة الانطلاق؛ «القاهرة»، فما دامت عملية الاختفاء تحدث في اتساع العالم كله، فإنَّ «القاهرة» تقع في منطقة وسط من العالم، وإذا كان هناك أحد العلماء قد اختفى من «الخليج»، فإنه يُمكن أن يختفي في أيٍّ من الدول العربية؛ في «السعودية» أو «الكويت» أو «الجزائر» أو غيرها ولهذا تُصبح «القاهرة» هي أنسب مكان للانطلاق.

وعندما ضَمَّهم المقر السري في «القاهرة» بدءوا يُحدِّدون خطواتهم.

قال «أحمد»: أَظُنُّ أنه ينبغي أن نتحرك في المنطقة كلها.

باسم: إنَّ تحرُّكنا يجب أن يشمل العالم كله.

هدى: لهذا أَعْتَقد أنَّه يجب أن ننقسم إلى مجموعات ... كل مجموعة تتحرَّك داخل منطقة محددة ...

صمت الجميع قليلًا ... كان كلٌّ منهم يُفكر في كيفية تقسيم العالم إلى مناطق ... قال «قيس»: أعتقد أنه يُمكن أن نقسم عالمنا العربي أولًا ... وتخرج مجموعةٌ منَّا، يكون مجالها المنطقة التي نحدِّدها ... وهكذا ...

قام «أحمد» وأحضر خريطةً للعالم العربي، وأخرى للعالم ... بسط خريطة العالم العربي ... ثم قال: يُمكن أن نُقسِّم عالمنا العربي إلى قسمَيْن؛ شرق، وغرب ... الشرق ما يقع على يمين «مصر» والغرب ما يقع على يسارها؛ فـ «الجزيرة» و«الخليج» و«الشام» و«العراق» تقع كلها على يمين «مصر» ... وعلى يسارها «ليبيا»، و«تونس» و«الجزائر» و«المغرب» ... أمَّا جنوب «مصر» فأفريقيا كلها ... إذن نحن نحتاج إلى مجموعتَيْن هنا؛ مجموعة في محور اليمين ... ومجموعة في محور اليسار، ما رأيكم؟

قال «رشيد»: فكرة طيبة ... أضيف إليها أن أكون أنا و«قيس» و«إلهام» في محور اليمين ... ويكون «مصباح» و«بو عمير» و«زبيدة» في محور اليسار ...

قيس: هذا طيب ... على أن تكون «القاهرة» هي مركز تجمُّعنا واتصالاتنا ...

أحمد: أظن أن أسبوعًا يكفي لكل مجموعة ... حتى تقدم تحرياتها عن منطقتها ... في نفس الوقت ... ينقسم الباقون ثلاثة في أفريقيا ... وأربعة في أوروبا ...

وهكذا اتفق الشياطين على تقسيم مجموعاتهم، وأصبح الجميع على استعداد للانطلاق، ثم بعد ذلك انفردت كل مجموعة ترسم خطة تحركها ... وعندما حان وقت انصراف مجموعة محور اليمين ... قال «رشيد»: إنَّ موعدنا يوم الثلاثاء القادم في «القاهرة» في تمام الساعة الخامسة.

حيَّا الجميع بعضهم، ثم انطلق محور اليمين ... وبعد نصف ساعة أخذ المحور الآخر طريقه ... وهكذا ... كانت نصف ساعة تفصل بين تحرُّك كل محور وآخر.

كان «أحمد» و«خالد» و«هدى» و«باسم» قد اختاروا أوروبا مجالًا لتحرُّكهم ... وعندما أقلعت الطائرة من مطار «القاهرة» كانت خطة المجموعة الاتصال بالرَّقم السري لعميل رقم «صفر» في «باريس» ... وهكذا استغرق الأربعة في التفكير، غير أنَّ شيئًا ما لفت نظر «هدى»، فمالَت قليلًا في اتجاه «أحمد» الذي كان يجلس بجوارها ثم قالت: هل رأيت الرجل الذي مرَّ الآن؟

فتح «أحمد» عينَيْه ... ودون أن يلتفت إليها قال: إنني أراقبه منذ إقلاع الطائرة ... وكان الأربعة يجلسون في صفٍّ واحد ... يفصل بينهم الممر الضيق ... نظر «أحمد» إلى «باسم» ثم غمز له بعينه إشارة فهمها، كان هناك رجلٌ أسمر، طويل القامة، يمشي في الممر قاصدًا كرسيَّه في مُقدمة الطائرة، نظر «باسم» إلى الرجل، ثم بدأ يستعيد تلك الكلمات التي سمعها من رقم «صفر» حول هؤلاء الرجال النابهين الذين يختفون، مَرَّ الرجل في هدوء، فكر «أحمد» قليلًا ثم قام قاصدًا مقدمة الطائرة، وفي طريقه مر بالرجل الأسمر، ألقى نظرة خفية عليه، كانت تنطبق عليه أوصافٌ كثيرة من تلك الأوصاف التي ذكرها رقم «صفر»، كانت دلائل الحزن تغطي وجه الرجل، ويبدو عليه الشرود، كان يُرسل نظراتِه من نافذة الطائرة التي كانت تعلو السحب، ولم يكن هناك سوى تلك السحب البيضاء السابحة في الفضاء ... وكأنها القطن.

وصل «أحمد» إلى طاقم الطائرة، فعرف من بينهم كابتن الطائرة، فكثيرًا ما سافر معه، وكان يلتقي به، حيَّاه في كلماتٍ هادئة، دَعَاه الكابتن إلى الدخول، جلس وهو يُحاول

أن يجعل وجهه في اتجاه الرجل الأسمر، حتى يُعطي لنفسه فرصة تأمله فترة كافية، كان الكابتن يحكي إحدى ذكرياته عن الطيران، إلا أنَّ «أحمد» كان مُستغرقًا تمامًا في مُراقبة الرجل الأسمر الذي كان يبدو شاردًا ... وعيناه لا تزالان مُعَلَّقتَيْن بقطع السحب البيضاء ... سمع «أحمد» طاقم الطائرة يضحك، فضحك هو الآخر بالرغم من أنه لم يعرف لماذا يضحكون، فكر قليلًا فقد عاد الصمت إلى كابينة القيادة، فيما عدا صوت المحركات النفاثة، كان الكابتن قد انتهى من حكايته، وركن الجميع للصمت ... وقف «أحمد» مستأذنًا، وهو يحيي الكابتن، ثم خرج في اتجاه مقعده، كانت عيناه مُعلقتَيْن على الرجل الأسمر، دون أن يُلاحظ الرجل ذلك ... مر بجواره، كان لا يزال في نفس جلسته، تجاوزه إلى المقعد، ثم ألقى نفسه فيه، سألته «هدى»: ما رأيك؟! رَدَّ «أحمد»: إنني أضع اقتراحًا فقط ... لكنني لا أستطيع أن أجزم بشيءٍ ... صمتت «هدى» واستغرقَت في التفكير ... قفز في رأس «أحمد» سؤال: هل الطائرة قادمة من مكانٍ ما ... ونزلت في مطار «القاهرة» ترانزيت؟ ثم هل هي الآن تُكمل رحلتها إلى «باريس»، أم أن بداية طيرانها من «القاهرة»؟ ... لمح إحدى المُضيفات تقترب وعندما أصبحت بجواره تمامًا ... سألها «أحمد»: معذرةً ... هل «القاهرة» هي بداية الرحلة أم أن «القاهرة» كانت فقط محطة؟

ابتسمَت المضيفة وقالت: «القاهرة» هي بداية الرِّحلة. شكرها «أحمد» ثم أخذ طريقه إلى مؤخرة الطائرة، حيث كانت هناك بعض المقاعد الخالية، أخرج جهاز الإرسال الصغير الذي يحمله، ثم أرسل رسالة إلى رقم «صفر»: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: هل هناك أخبار؟

مرَّت لحظةٌ بطيئة، ثم جاءه الرد: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» اختفَت نجمة من «القاهرة» لا يزال البحث جاريًا ...

فهم «أحمد» معنى كلمة نجمة ... إنَّ معناها شيءٌ لامعٌ وهذا يعني أن خبيرًا أو رجلًا هامًّا قد اختفى، فأسرع إلى حيث يوجد الشياطين، وأخبرهم بالرسالة، وسار بسرعةٍ إلى حيث يوجد الرجل الأسمر، وبالكاميرا السرية التقط له عددًا من الصور، كان يحتاج إلى تحميض هذه الصور وطَبْعها، ثم إرسالها إلى رقم «صفر»، لكن كيف يمكن ذلك الآن؟ ... وعندما عاد إلى مكانه، كان صوت مضيفة الطائرة تطلب ربط الأحزمة؛ فالطائرة سوف تنزل في مطار «روما» ... قالت «هدى»: إن هذه فرصةٌ طيبة ... يمكن استغلالها ...

هَزَّ «أحمد» رأسه، ثم أخذ طريقه إلى مؤخرة الطائرة، وكان لا بُدَّ من إرسال رسالة سريعة إلى رقم «صفر» ... فأخرج جهازه السري، ثم أرسل الرِّسالة: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» نحتاج إلى رجلنا في «روما» ... جاءه الرد بسرعة: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» سوف ننتظركم في المطار ... عاد «أحمد» إلى مقعده، ثم همس لـ «باسم» الذي كان يتحدث إلى «هدى»: كل شيء على ما يُرام.

كانت مُضيفة الطائرة، تمر على الجالسين حتى تطمئن إلى أنهم جميعًا قد ربطوا أحزمتهم، وبعد دقائق كانت الطائرة تأخذ طريقها إلى أرض المطار ... كانت عيون الشياطين تحوط الرجل الأسمر الذي كان يجلس في هدوء ... وعندما لمست عجلات الطائرة أرض مطار «روما»، كان الرجل يرسل نظرةً من النافذة في اتجاه باب المطار ... وكان الشياطين ينتظرون سماع كلمة واحدة، هي كلمة السر، وكانت الكلمة «نجوم» ... استقرَّت الطائرة على أرض المطار، وقالت مذيعة الطائرة: لن ننتظر كثيرًا ... أمامنا فقط نصف ساعة.

شعر الشياطين بالقلق ... نظر «أحمد» في ساعة يده، كانت تشير إلى الرابعة والنصف، إن هذا معناه أن تطير الطائرة في الخامسة ... ظلَّتْ عينا «أحمد» مُعَلَّقة بعقرب الثواني الذي كان يقفز بسرعة؛ فالثواني تتجمع حتى تصبح دقيقة، والدقائق تمر، ولم يسمع أحدٌ منهم كلمة «نجوم»، مرَّت عشر دقائق ... كان الرجل الأسمر لا يزال في مكانه لا يتحرك ... كان يرقب أضواء المطار التي تظهر من بعيد، بينما كانت أصوات من الخارج تصل إلى الشياطين، فهموا منها أنَّ هناك ركابًا جددًا، ومرَّت دقائق أخرى ... سبع دقائق ... ثمانية ... تسعة ... استولى القلق تمامًا على الشياطين، ولكن فجأة، سمعوا صوتًا يقول: نعم ... نعم ... هناك أربعة من الأصدقاء في الطائرة. تعلَّقت أعينهم بباب الطائرة ... ظهرت المُضيفة أولًا، كانت تبتسم ابتسامة هادئة، وهي تنظر في اتجاه الشياطين، ثم سمعوا صوتها يقول: هناك ... عند المقدمة ...

التفت الرجل الأسمر ... أسرع «أحمد» من مكانه في اتجاه المضيفة ... لم يكن أحدٌ قد ظهر خلفها ... وعندما أصبح في منتصف المسافة، شاهد رجلًا أنيقًا تملأ وجهَه ابتسامةٌ رقيقة ... اقترب «أحمد» منه بسرعة ... أخذت المضيفة طريقها إلى الخارج ... فقال الرجل: نجوم ... ابتسم «أحمد» ثم مد يده مشيرًا إلى يد الرجل بجواره ... وبسرعةٍ أخرج من جيبه الكاميرا السرية ... ثم أخرج الفيلم الذي بداخلها وهمس: يجب طبع هذه الصور وإرسالها إلى رقم «صفر» قبل أن نصل إلى «باريس» ... فقد تكون هذه فرصتنا ...

حيَّاه الرجل ... ثم انصرف مُسرعًا ... شعر «أحمد» بالارتياح وأخذ طريقه إلى مقعده ... لمح الرجل الأسمر ... وقد عاد إلى جلسته ... نظر الشياطين إلى «أحمد» كانوا ينتظرون منه كلمة ... نظر إليهم مُبتسمًا ... ثم ألقى نفسه في مقعده وهو يقول: كل شيءٍ على ما يرام ...

حديث مع رجل أسمر!

لم تمر دقائق كثيرة، حتى ارتفعت أصوات محركات الطائرة ... ثم جاء صوت المُضيفة من الإذاعة الداخلية للطائرة يطلب ربط الأحزمة ...

ربط الشياطين الأحزمة ... ثم بدأت الطائرة تجري على أرض المطار ... وأخذت طريقها إلى الفضاء ... كانت أضواء المطار تتباعد، وأضواء «روما» تختفي قليلًا قليلًا، حتى استوَتِ الطائرة في طريقها ... فلم يعد يظهر شيء ... لم يكن هناك سوى صوت الطائرة ... وكان «أحمد» لا يزال مُستغرقًا في تفكيره ... بينما كان بقية الشياطين ينظرون في اتجاه الرجل الأسمر ... رفع «أحمد» يده، ونظر في ساعته ... ثم هز رأسه، هناك ساعتان حتى تصل الطائرة إلى مطار «أورلي» في «باريس» ... وخلال الساعتَيْن تكون أشياء كثيرة قد حدثت ... ثم أغمض «أحمد» عينَيْه ... بينما كانت «هدى» تُحَاول أن تنظر من نافذة الطائرة إلى الليل، كانت النجوم تملأ السماء، ابتسمت وهي تُفكِّر: من يستطيع أن يعدَّ كل هذه النجوم ... ثم بدأَت تعدها فعلًا.

كان «خالد» و«باسم» يتحادثان ... قال «خالد»: أعتقد أنه ينبغي أن يقوم «أحمد» بتصوير الرجل مرة أخرى ... يجب أن نحتفظ نحن أيضًا ببعض صوره ...

باسم: لا أظن أن هذه مسألة ضرورية ... تكفي الصور التي أُرسِلَت إلى رقم «صفر»...

لم يُعَلِّق «خالد» ... نظر في اتجاه الرجل الذي كان مُستغرقًا لحظتها في قراءة كتاب ... أخرج الكاميرا السرية، ثم التقط للرجل عدة لقطات ... في نفس اللحظة ... فتح «أحمد» عينيه، ثم نظر إلى «خالد» وابتسم ... أعاد «خالد» الكاميرا السرية إلى حقيبته الصغيرة التي يحملها ... ثم قال لـ «باسم»: إنَّ واحدًا في المائة خطأ، يمكن أن يُفْسِد كل شيء ... هذه يجب أن تحسب حسابها.

هز «باسم» رأسه ... وابتسم دون أن ينطق بكلمة ... وقف «أحمد» واتجه إلى «خالد»، حتى اقترب منه تمامًا ... قال: دعني آخذ مكانك حتى أراه أكثر ...

وقف «خالد» وترك مكانه لـ «أحمد»، ثم أخذ طريقه إلى حيث «هدى» التي كانت تُراقبهم ... جلس «أحمد» وأصبحت زاوية الرؤية له واضحة أكثر ... إنه الآن يستطيع أن يرى الرَّجل الأسمر ... كانت كلمات الكتاب غير واضحةٍ في حين أنه حاول أن يقرأ شيئًا، برغم بُعد المسافة ... أخرج مِنْظارًا مُكبرًا، وبدأ يقرِّبه من عينَيْه ليحاول أن يقرأ بعض كلمات الكتاب ... في نفس اللحظة أغلق الرجل الأسمر كتابه ... فوقعت عينا «أحمد» على عنوانه ... كان عنوان الكتاب: «التاريخ القديم للعالم» ... أنزل منظاره، ثم استغرق في التفكير ... وقفز إلى ذهنه سؤال: من يكون هذا الرجل؟ وماذا يعمل؟ هل هو أستاذ في التاريخ؟

إنَّ عنوان الكتاب مثيرٌ «التاريخ القديم للعالم» ... نظر إلى «باسم» وقال: لا بد أنه كتاب رائع ... فالتاريخ القديم يتحدث عن أشياء قد انقرضت من عالمنا الحديث ... كم أحب قراءة هذا الكتاب ...

وفجأة شعر «أحمد» بدفء حيث يختفي جهاز الإرسال، فعرف أنَّ هناك رسالةً من رقم «صفر» قام بسرعة، واتجه إلى مؤخرة الطائرة ثم أخرج الجهاز، وبدأ يتلقَّى الرسالة: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» الأفلام فاسدة ... من الضروري إرسال صورٍ أخرى ... ملأت الدهشة وجه «أحمد» ... رد على رسالة رقم «صفر»: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: كيف نُرسل الصور؟ ... جاء رد رقم «صفر»: عميلنا في «باريس» سوف يكون في انتظاركم ... رد «أحمد»: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: عُلِم ... عاد «أحمد» بسرعة إلى حيث الشياطين ... كان لا يزال مندهشًا ... نظر إليه «خالد» مُسْتفهمًا، جلس «أحمد» وقال: الصور فاسدة ... ابتسم «خالد» ونظر إلى «باسم» ... ابتسم «أحمد»؛ فقد تذكر أنَّ «خالد» قد قام بتصوير الرجل ... لكن ذلك لم يطمئنه كثيرًا ... أخرج الكاميرا السرية الخاصة به، ثم قام بتصوير الرجل الذي التفت في نفس اللحظة ... حول «أحمد» الكاميرا بعيدًا عنه حتى لا يشك في شيء ... ابتسم الرجل في هدوء، ثم أشار إليه ... حاول «أحمد» أن يتماسك؛ فقد اضطرب عند إشارة الرجل ... اتجه إليه، ثم ألقى عليه تحية المساء ... ابتسم الرجل وهو يرد: مساء الخير ... تفضل.

جلس «أحمد» ... لم يكن يصدِّق بينه وبين نفسه أن هذا يحدث هكذا ببساطة ... قال الرجل: هل أنتم أصدقاء؟

أحمد: نعم.

الرجل: هل تقومون برحلة؟

أحمد: نعم.

الرجل: إلى أين؟

أحمد: إلى «باريس» ... ثم «إيطاليا» ... ونعود بالباخرة إلى «القاهرة».

الرجل: هذه رحلة طيبة ... هل تقومون بها كثيرًا؟

أحمد: نعم ... إننا من هواة الرحلات.

الرجل: هذه فرصة طيبة ... هل تسمحون لي بأن آخذ صورة معكم؟

شعر «أحمد» بالسعادة ... فها هي الفرصة سانحة تمامًا ... أشار «أحمد» إلى الشياطين، فأسرعوا إليه ... وجلسوا جميعًا حول الرجل وثبت «أحمد» الكاميرا في مكان مُقابل، فالتقطت لهم صورة ... شكر الشياطين الرجل الذي رد شكرهم بابتسامة ... ثم قال: اسمحوا لي أن أقدِّم لكم صورةً لي ... ذكرى لهذا اللقاء ... فقد نلتقي مرةً أخرى ... إنني مثلكم أهوى الرحلات.

أخرج صورة من جيبه ... ثم كتب عليها إهداء: إلى أصدقاء الرحلة ... للذكرى. ثم وقع باسم «باركر».

شكره الشياطين، ثم انصرفوا ... إلا «أحمد» الذي بدأ معه حوارًا.

أحمد: لقد شاهدت كتابًا مع حضرتك ... يبدو أنه كتاب نادر.

الرجل: نعم ... إنه نادر فعلًا ... ولو كنت قد انتهيت من قراءته، لقدمته لك للذكرى؛ فهو كتاب قيم ... لكني أعدك أن أهديه إليك يومًا ... إذا شاءت الصدفة أن نلتقي.

أحمد: هل أستطيع أن أعرف عمَّ يتحدث؟

ابتسم الرجل ... دون أن ينطق بكلمة واحدة، ثم قال: إنه كتاب قديم يتحدث عن عالم قديم ... عالم قد انقرض بكل ما فيه ... وهناك محاولات للبحث عن آثاره.

نظر إلى «أحمد» قليلًا ثم قال: أظن أنك مصري.

أحمد: عربي.

الرجل: والأصدقاء؟

أحمد: إننا جميعًا عرب ...

هز الرجل رأسه ... ثم قال: إذن أنتم تقومون برحلات عربية ... ثم ضحك ...

ابتسم «أحمد» وهو يقول: نعم ... إننا مجموعة من البلاد العربية تربطنا الصداقة ...

الرجل: هذا شيء طيب ...

ظل الاثنان في حوار ... حكى الرجل خلاله بعض ذكريات طفولته، وكيف كان يهوى الرحلات مثلهم، وكيف كان يشعر أنَّ هناك أشياء تشده إلى الجبال والصحاري والغابات ... ولذلك فإنَّه عندما كبر، كانت إحدى هواياته رحلات الصيد ... ثم أخذ يحدثه عن رحلاته إلى «مصر»، عندما كان يذهب إلى بركة «قارون» لصيد البط، أو إلى البحر الأحمر لصيد السمك.

قطع صوت مذيعة الطائرة، استرسال الرَّجل في حديثه، ابتسم وهو يقول لـ «أحمد»: معذرة ... وأشكرك لتلك اللحظات السَّعيدة التي جعلتني فيها أتذكر الماضي ... أرجو أن أراك بخير ... وداعًا ...

شدَّ «أحمد» على يده وهو يقول: إنني سعيد تمامًا، وأتمنى أن يكون لنا لقاء آخر.

ضحك ثم قال: حتى آخذ الكتاب ...

ضحك الرَّجل ضحكة عذبة ... وهَزَّ رأسه قائلًا: إذا التقينا ...

انصرف «أحمد» بينما كان الرَّجل يتبعه بعينَيْه ... وعندما وصل إلى الشياطين ... كانوا جميعًا قد ربطوا أحزمتهم ...

جلس «أحمد» وربط حزامه ... واستغرق في التفكير.

جاء صوت مذيعة الطائرة: مرحبًا بكم في «باريس» ... يرجو لكم كابتن الطائرة وطاقم الطائرة أن تكونوا قد استمتعتم بالرِّحلة ... إننا الآن فوق «باريس» ... وبعد قليلٍ ... سوف نصل إلى مطار «أورلي». ابتسمت المُضيفة ثم قالت: نرجو ألَّا يكون أحدكم قد نسي الحزام ...

ابتسم الشياطين، إلا «أحمد» الذي كان لا يزال مُستغرقًا في تفكيره، كان يستعيد تلك الكلمات التي قالها الرَّجل عن ذكرياته في «القاهرة».

بعد قليل ... كانت الطائرة تجري على الممر الأرضي فوق أرض المطار ... ثم تدور دورةً واسعة، حتى تقف في النِّهاية ... دقائق، ثم فُتح باب الطائرة، وبدأ الرُّكاب يأخذون طريقهم إلى الخارج ... انحنى «أحمد» ونظر من نافذة الطائرة فرأى أضواء المطار ... كان بعض الركاب قد وصلوا إلى الأرض، وأخذوا طريقهم إلى أبواب الخروج ... لم يستطع أن يميز جيدًا، إن كان الرجل الأسمر بينهم أم لا.

نظر خلفه ... كان الشياطين قد تقدَّموا إلى الباب ... أسرع خلفهم، ثم أخذ طريقه إلى السُّلم ... كان الشياطين ينزلون في هدوء ... تَعَلَّقت عينا «أحمد» بالباب الخارجي، كان يُريد أن يتأكَّد إن كان هناك أحدٌ لمح الرجل الأسمر يجتاز الباب ... ثم يختفي بين الزحام ... نزل جريًا، وأسرع إلى الباب ... تقدَّم منه أحد الرجال مُبتسمًا وهو يقول: كوكب. ابتسم «أحمد» ثم مد يده مُسلِّمًا ... قال بسرعة: هناك الرجل المقصود ...

الرجل: أين؟

أحمد: خرج لتوه ... واختفى في الزِّحام ...

ابتسم الرجل وقال: لا بأس ... هيا بنا.

أسرع الجميع إلى الباب، حتى اجتازوه ... نظر «أحمد» بين النَّاس ... كان يريد أن يرى الرجل، لكن الزِّحام في المطار كان شديدًا ... ظل يدُور بعينَيْه، لكنه لم يستطع أن يعثر للرجل على أثرٍ ... قال: معنا صورته التي أهداها إلينا ...

الرجل: هل أهداكم صورته؟

ثم ابتسم قائلًا: نسيتُ أن أُقدِّم نفسي لكم «شارل» وينادونني «شيرن».

حيَّوه جميعًا، ثم نظروا لبعضهم ... قال «أحمد» بسُرعة: ينبغي أن نُسرع إلى صالة المطار ... رُبَّما رأيناه هناك.

أسرعوا جميعًا إلى حيث صالة المطار ... كان الازدحام يعوقهم من التقدُّم بسرعة ... كانت الصالة الخارجية مُزدحمة بالمسافرين، والمودِّعين ... أسرع «شارل» إلى مكتب شركة الطيران ... ثم سأل إنْ كانت سيارة الشركة قد انصرفت ... ابتسم الموظف وهو يقول: ليس بعد ... إن كل الركاب لم يركبوا ...

أسرعوا إلى حيث تقف سيارة الشركة عند الرَّصيف الخارجي، ومن بعيدٍ شاهدوها تتحرَّك ... قال «شارل»: ينبغي أن نلحق بها.

حاول أن ينادي ... لكن صوته اختفى في ضجيج السيارات والزحام ... قال: نستطيع أن نلحق بها ... فمعي سيارتي ...

أسرعوا إلى السيارة ... كانت تقف في مكان بعيد، قطعوا المسافة جريًا حتى وصلوا إلى هناك، وأخذ كلٌّ منهم مكانه، ثم انطلق «شارل» بسيارته ... كانت سيارة الشركة قد اختفَتْ تمامًا ... قال «شارل»: لا بأس ... إنَّ مقرها الأخير عند مقر الشركة في شارع «سان ميشيل».

كانت سيَّارة «شارل» تنطلق بسرعة رهيبة ... فقد كان يريد أن يصل إلى حيث مقر الشركة، قبل أن تصل السيارة وينصرف مَن فيها.

قال «شارل»: هل أستطيع أن أرى الصورة التي أهداها لكم؟

قال «باسم»: إنها مع «هدى» ...

أخرجت «هدى» الصورة ... وبدَتْ عليها الدَّهشة وهي تُقدمها إلى «أحمد» الذي كان يجلس بجوار «شارل» ... أخذ «أحمد» الصورة، ولم يتمالك نفسه فقد اتسعت عيناه من فرط الدهشة هو الآخر.

لغز الصورة البيضاء!

تنقَّلَت الصورة بين أيديهم جميعًا، وارتسمت الدَّهشة على مَلامِحهم ... لقد كانت الصورة بيضاء ... ضغط «شارل» على البنزين أكثر، فأصبحت السيارة كالصاروخ ... قال «شارل»: الأمل الوحيد أن نلحق به ...

كان الشياطين في حالة ذهولٍ ممَّا حدث ... كان «أحمد» يُفكر: إنه هو وإلا فكيف تصرَّف هذا التصرُّف؟! ... نظر إلى «شارل» وقال: هل جاءتك رسالةٌ من رقم «صفر»!

قال «شارل»: نعم ... إنه في انتظار الأفلام ...

نطق «خالد» في النهاية: لقد كانت فرصته أن قمت بتصويره ...

باسم: هناك أيضًا الصورة التي أخذناها معه ...

لم تكن «هدى» معهم ... كانت في حالة مُختلفة تمامًا ... كانت لا تزال في حالة ذهول ... أخيرًا قالت: كيف حدث هذا؟

أحمد: إنها مسألة عادية ... إنَّ المهم أننا تأكدنا أنه هو.

لم يكد «أحمد» يُتِمُّ جملته، حتى ارتفعت صرخةٌ في الطريق، جعلَت «شارل» يضغط على الفرامل مع سرعة السيارة ... فارتفع صوت الفرملة، وانحرفت السيارة في الاتجاه المُضاد، وارتفعت فرملة سيارة أخرى ... وعندما هدأ كل شيءٍ كان الشياطين ينظرون إلى بعضهم ... دون أن ينطق أحدهم بكلمة ... وفي أقل من لحظة، كانت سيارات الشرطة قد تجمَّعت.

لم يكن هناك وقت ... قفز «أحمد» من السيارة، ومعه «شارل» الذي قال للشياطين بسرعة: سوف أنطلق و«أحمد» إلى مقر الشَّركة ... ابقوا كما أنتم ...

اقترب «شارل» من رجل الشرطة ... ثم همس في أذنه ...

قال الشرطي: نعم ... تفضَّل ...

ركب «أحمد» و«شارل» سيَّارة الشرطة التي انطلقت إلى مقر الشركة ... أُغْلِقت إشارات المرور في كل التقاطعات، وأصبح الطريق مفتوحًا أمام سيارة الشرطة، ومن بعيدٍ ظهرت عربة الشركة ... نظر «أحمد» إلى «شارل» وقال: أخيرًا، ها هي لم تقف أمام المقر بعد ...

اقتربت سيارة الشرطة بسرعة من عربة الشركة ... فتح «أحمد» الباب وقفز ... جرى إلى حيث عربة الشركة التي كانت قد توقفت لتوِّها ... فتح الباب وقفزوا داخلها، جرَتْ عيناه على الموجودين جميعًا، وارتسمت علامات الخيبة على وجهه ... لم يكن الرجل موجودًا ... نزل بسرعةٍ واتجه إلى مكتب الشركة ... وجد «شارل» في انتظاره ... وقف لا يدري ماذا يفعل. كان سائق العربة قد نزل، واتجه إلى مكتب الشركة ... تقدم منه «أحمد» ثم حيَّاه في أدبٍ قائلًا: هل نزل أحد الركاب من السيارة في الطريق؟!

نظر له السائق بدهشة ثم سأله: لماذا؟

تقدم «شارل» بسرعة ... وتحدث إلى السائق الذي ابتسم قائلًا: كثيرون نزلوا في الطريق ... وهذا ما جعلنا نتأخر في الوصول إلى المكتب ...

شرح «أحمد» للسائق ملامح الرجل الأسمر ... فكر السائق قليلًا ثم هزَّ رأسه وقال: لا أظنُّ أنه كان معنا رجلٌ بهذه الأوصاف ... ثم بعد لحظة قال: ماذا كان يلبس ... هل يلبس زيًّا عربيًّا؟

أحمد: لا ... كان يلبس الملابس العادية!

هز الرجل رأسه وقال: لا، كان معنا مَن يلبس الزي العربي ...

فكر «أحمد» بسرعةٍ وقال: هل كانت له نفس الملامح؟

السائق: لا، أظنه كان أقصر قليلًا ...

أحس «أحمد» بأن الفرصة قد ضاعَت ... نظر إلى «شارل» الذي قال: ينبغي أن نُرسل أفلامنا بسرعة ...

عندما التفت الاثنان ... كان رجل الشرطة لا يزال في انتظارهما، ركبا السيارة التي عادت بهما إلى حيث كان بقية الشياطين في الانتظار ... بدأت استجوابات الشرطة حول حادث السيارة ... لم يقل «شارل» سوى: كان الكلب في الطريق ...

بدأ الشرطي تسجيل ملابسات الحادث، بينما كان الشياطين ينتظرون تفاصيل ما حدث ... في النهاية ... تحرَّكت سَيَّارة «شارل» وأخذت طريقها إلى حيثُ يُقيم الشياطين،

ودَّعهم «شارل» على أن يلتقي بهم في الصباح، ثم ترك لهم رَقْم تليفونه، وأخذ الأفلام وانصرف ...

عقد الشياطين اجتماعًا سريعًا ... قال لهم «أحمد»: في البداية وقبل كل شيء ... فقال «باسم»: طبعًا لم تجدا الرجل ...

أحمد: نعم ... ومن المؤكد أنَّه لم يركب سيارة الشركة ... وهذا تصرفٌ سليم منه ... إنَّ وجوده في سيارة الشركة يُعرِّضه للخطر ... خصوصًا وقد لفتنا نظره ...

هدى: ماذا تتوقع إذن؟

أحمد: هناك تأكيد بأنَّ هذا الرجل أحد الرجال الذين يختفون ... لكن السؤال الآن: كيف يختفي وحده؟! بمعنى أنه ليست هناك عصابة مثلًا قد قامت بخطفه!

خالد: ألَا يلفت الكتاب الذي كان يقرؤه النظر؟ ألا يمكن أن يدل على شيء؟

أحمد: ماذا تعني؟

خالد: ألَا يكون هناك اتصالٌ بين التاريخ القديم ... وبينه؟

كانت «هدى» تنظر بدهشة إلى «خالد» الذي استمر يقول: لقد قلت إن الرجل حدثك عن الكتاب، وقال إنه يبحث في أشياء قد اندثرت، وإنهم يحاولون الوصول إليها، وقال لك إنه كان يشعر بشيءٍ يجذبه إلى الغابات والصحاري والجبال، ألا يكون إحدى السلالات القديمة التي اندثرت؟

كان حديث «خالد» يفتح بابًا آخر أمام الشياطين ليفترضوا طرقًا أخرى للتفكير، ويفتح بابًا للبحث عن تلك السلالات التي اختفَت، بعد لحظاتٍ قال «أحمد»: إنَّ هذا مجرد احتمال!

خالد: لكنه جائز، خصوصًا وأنَّ الذين يختفون من الرجال النابهين ... وهذا يعني أنهم جميعًا ينتمون إلى شيء واحد ... أو أن شيئًا واحدًا يجمعهم ...

صمت الشياطين ... كان الاحتمال مثيرًا ... لم ينطق أحدهم بكلمةٍ ... ظلُّوا هكذا بلا أي حديث ... حتى قال «أحمد»: يبدو أننا تعبنا ... ونحتاج لبعض الراحة ...

نظر في ساعته ... ثم قال: إنَّ الوقت لا يزال مُبكرًا، ونستطيع أن نخرج ... إنني أحب «باريس» في الليل ... أمامنا ربع ساعة نُبدِّل فيها ثيابنا ثم نخرج ... وفي صالة الفندق، التقوا جميعًا، ثم خرجوا إلى الشارع ... كان الشارع هادئًا ... فوقفوا ينظرون حولهم ... قال «باسم»: هل لنا اتجاه محدد! ...

أحمد: أبدًا، إننا خرجنا نمشي قليلًا ... والمحلات تُغلق هنا مبكرًا كما تعلم؛ فطبيعة الفرنسيين أن يناموا مبكرين، وأن يستيقظوا مبكرين أيضًا ...

تحرَّكوا بلا أي تفكيرٍ مُسبق ... كان الهواء باردًا قليلًا، وكانت السيارات قليلة ... توقفوا أمام إشارة مرور ... كان الضوء أخضر للسيارات ... انتظروا حتى تغيَّر لون الإشارة، وأصبح من حقِّهم المرور بعرض الشارع ... كانت السيارات تتكاثر ... وقفوا عند الإشارة عندما أصبحوا عند الرصيف الآخر ... صاح «أحمد»: باركر!

نظر له الشياطين ... وسأل «باسم»: من «باركر»؟!

أحمد: الرجل الأسمر!

نظروا جميعًا في اتجاه السيارة التي أشار إليها «أحمد» ... كان أحد الرجال يجلس في الكرسي الخلفي ... تحقَّقت «هدى» قليلًا، ثم قالت: لا أظن أنه هو ...

تحرَّك «أحمد» بسرعةٍ في اتجاه السيارة، غير أنَّ إشارة المرور كانت قد تغيَّرت فانطلقت السيارات ... لم يكن أمام «أحمد» إلا أن يتوقَّف؛ خوفًا من السيارات القادمة بسُرعة ... مَرَّت سيارة الرجل أمامهم ... قال «أحمد» بصوتٍ مُرتفع: إنه هو، «باركر» ...

لم يتحرك الرجل داخل السيارة التي مرَّت مُسرعة، غير أنَّ «أحمد» استطاع أن يلتقط رقمها ... قال «خالد»: لا أظن أنَّه هو، قد يكون أسمر اللون مثله ... لكنه ... ليس هو ...

أحمد: إنني أؤكد أنه هو ... لقد كنتُ أقربكم إليه ... صحيح أنَّ زجاج السيارة مُلون ... إلا أنني استطعت أن أتأكد منه ...

هدى: وماذا سنفعل الآن؟ ...

أحمد: يجب أن نَتَّصل بـ «شارل» ...

أسرعوا إلى أقرب تليفون ... واتصل «أحمد» بـ «شارل» ...

أحمد: يجب أن تحضر فورًا ... إنَّ الرجل قد ظهر ...

قال له «شارل» في التليفون ... إن عليهم ألَّا يتحركوا من مكانهم، حتى يحضر ...

ولم تمضِ دقائق ... حتى كان «شارل» قد وصل إلى حيث يقف الشياطين ... قال «أحمد»: لقد رأيت الرَّجل في سيارةٍ ... واستطعت أن ألتقط رقمها ...

شارل: هل أنت متأكد؟

خالد: أعتقد أنه ليس هو ...

نظر «شارل» إلى «خالد» لحظة ثم إلى «أحمد»، وقال: هل أنت متأكد؟

أحمد: لقد كنت الأقرب إليه ... إن «خالد» لم يره جيدًا ...

هز «شارل» رأسه ... ثم قال: فلنجرب ... إننا لن نخسر شيئًا ...

أخذ رقم السيارة، ثم توجه إلى التليفون القريب ... وطلب رقم تليفون ثم قال: مكتب السيارات ... مساء الخير ... إنني أسأل عن رقم السيارة ٩٨٣٦٤٦، نعم، في أي منطقة ... نعم ... رقم تليفون ٤٦٤٦٣٣. شكرًا.

طلب الرقم الذي ذكره المكتب، ثم بدأ يتحدث: نعم إنني أسأل عن السيارة رقم ٩٨٣٦٤٦. نعم. هل يُمكن أن ترسلها لي ... إنني في منطقة «سان ميشيل». نعم. شكرًا. شكرًا. إنني في الانتظار ...

وضع سماعة التليفون ... ثم نظر إلى الشياطين ... وقال: على فكرة ... لقد أرسلتُ الأفلام ...

مشَوْا قليلًا بعيدًا عن التليفون، وتوقَّفوا قريبًا من الرَّصيف ... مرَّت دقائق قليلة، ثم اقتربَت منهم سيارة أجرة، حتى توقَّفت أمامهم ... تقدَّم «شارل» من السائق وحيَّاه ... ثم سأله: هل كنت في مكانٍ ما الآن ... بأحد الركاب؟

رد السائق: بالتأكيد ... وإلا ... فماذا أفعل في الشوارع الآن!

شارل: معذرةً ... هل تذكر الراكب الذي أوصلته الآن؟ أقصد تتذكر ملامحه؟

ابتسم السائق وقال: لا أدري كيف يمكن أن أرد؟ إنني لا أعمل في المباحث ...

أخرج «شارل» بطاقة، قدمها للسائق الذي ابتسم ... وقال: أظن أنني ما زلت أذكره ... فقد أوصلته لتوي.

شارل: هل يتحدث الفرنسية؟

السائق: نعم وبطلاقة.

شارل: كأهل «باريس»؟

السائق: لا ... أظن أنه أجنبي.

شارل: هل هو أسمر اللون؟

السائق: نعم.

شارل: طويل القامة؟

فكر السائق لحظة ... ثم قال: لا أذكر ذلك جيدًا ...

شارل: هل تحدثتما معًا؟

السائق: نعم ... وكان لطيفًا تمامًا ... ويقول النكتة ببراعة!

نظر «شارل» إلى «أحمد» الذي قال: إنني متأكد منه ... وأتمنى لو وصلنا إلى هناك ...

نظر «شارل» إلى السائق وقال: هل نزل في فندق؟

السائق: لا أدري ... وإن كانت المنطقة التي أوصلته إليها، لا يوجد فيها فنادق.

شارل: هل تعرف مثلًا البيت الذي نزل أمامه؟

السائق: لا أظن! ... فقد نزل في بداية شارع ... ثم مشى قليلًا واختفى ...

شارل: في أي شارع؟

السائق: في شارع «جان دارك»!

شكر «شارل» السائق الذي انصرف ثم قال للشياطين: أعتقدُ أنَّنا يُمكننا أن نضع مراقبة على الشارع غدًا ... لكننا الآن، لا نستطيع أن نفعل شيئًا.

صمت قليلًا ثم قال: والآن ... إلى أين؟

قالت «هدى»: أظُنُّ أننا يجب أن نعود ... ما دُمنا سوف نبدأ عملنا منذ الصباح.

شارل: إذن ... إلى اللقاء صباحًا.

انصرف «شارل» وأخذ الشياطين طريقهم إلى الفندق، وما إن وصلوه حتى تفرقوا إلى حجراتهم ...

ولم يستيقظ «أحمد» إلا على صوت تليفون «شارل» يقول: هناك مفاجأة غير سارة ... وغير متوقعة! ... إنني في الطريق إليكم ...

وضع «أحمد» السماعة ... وشرد يُفكر: ترى ... ما هي هذه المفاجأة!

اللقاء في باريس!

أسرع «أحمد» بمغادرة الفراش، واتصل تليفونيًّا ببقية الشياطين، الذين كانوا قد استيقظوا منذ فترة ... حضروا جميعًا إلى حجرته، أخبرهم بمكالمة «شارل» التليفونية، وبدأت الأسئلة تدور بينهم ...

هدى: ترى ما هي هذه المفاجأة؟

باسم: لعله قد اهتدى إلى مكان «باركر».

أحمد: لا أظُنُّ لأنَّه من البداية كان واضحًا أنَّه غير مقتنع بأنني رأيته.

خالد: هل هي مفاجأة عن طريق رقم «صفر»؟ ... لم يكد «خالد» ينتهي من سؤاله، حتى كان «شارل» يفتح الباب قائلًا: نعم، إنها مفاجأة عن طريق رقم «صفر».

تعلَّقت أعين الشياطين بـ «شارل»، كانوا يريدون معرفة المفاجأة؛ فقد كثرت المُفاجآت، تنهَّد «شارل» ثم قال: اسمحوا لي أن أجلس أولًا، واجلسوا أنتم أيضًا حتى لا تقعوا من هول المفاجأة ...

اتسعت أعين الشياطين، إنها إذن مفاجأة مذهلة ... ولكن إلى أي اتجاه ... مفاجأة للفشل، أو أنها مفاجأة للنجاح.

أخرج «شارل» من جيبه فيلمًا من أفلام الكاميرا السرية ثم مرَّره أمام ضوء النهار، وأمام عينَيْ «أحمد». نظر «أحمد» إلى الفيلم وصاح: إنها مُذهلة فعلًا! اقترب الشياطين من الفيلم، وكلما شاهده واحدٌ صاح نفس الصيحة، في النهاية قال «شارل»: تصوَّروا، أنتم فقط في الصورة، أمَّا هو فمكانه أبيض، وبقية الفيلم بيضاء كذلك!

صمت قليلًا، ثم أكمل: لقد خفنا أن نقوم بتحميض الفيلم هنا، فأرسلناه إلى رقم «صفر»، ثم كانت هذه النتيجة!

شرد الشياطين جميعًا، ولم ينطق أحدهم بكلمة ... نظر لهم «شارل» قليلًا، ثم ضحك قائلًا: هذه ليست لغزًا، إنها مسألة عادية، وهي من مصلحتنا تمامًا، إنَّ ما حدث يعني أننا أمسكنا بأول الخيط، فها نحن نعرف أحد هؤلاء الرجال النابهين الذين يختفون، هذه واحدة، والأخرى أننا عرفنا أنهم يختفون برغبتهم، وليست هناك قوى خارجية تُرْغِمهم على الاختفاء ...

نظر «أحمد» إلى «خالد» وقال له: لقد كنت محقًّا في استنتاجك يا «خالد».

نظر «شارل» إليهما ثم قال مُبتسمًا: كأنني لا أضيف جديدًا ... قال «خالد» ضاحكًا: بل أنت تؤكد وجهة نظري ...

شارل: إنني الآن في خدمتكم، أي شيء تريدونه أنفذه ... لم ينطق أحدٌ من الشياطين، كانت المفاجأة لا تزال تُسيطر عليهم، غير أنَّ «خالد» قفز من مكانه قائلًا: إن لديَّ فيلمًا في الكاميرا الخاصَّة بي صورته لـ «باركر» ... صاح «باسم»: هذا صحيح ... إنه فرصتنا الأخيرة ... أسرع «خالد» بإحضار الكاميرا السرية الخاصة به، ثم قدمها إلى «شارل» الذي قال: ينبغي أن نصل إلى المعمل فورًا، إننا في حاجةٍ إلى صورة للرجل.

أخذوا طريقهم بسرعةٍ إلى خارج الفندق، وبالرَّغم من أنهم لم يتناولوا طعام الإفطار بعد، إلا أن ما حدث قد أنساهم كل شيء، فاستقرُّوا في سيارة «شارل» الذي انطلق بسُرعةٍ في الطريق إلى بيته الذي يقع في إحدى ضواحي «باريس».

وأمام فيلا أنيقة تحوطها حديقةٌ بديعةٌ وقف «شارل»، وما إن اجتازوا الباب، حتى توقفوا، لقد كان هناك كلبٌ ضخمٌ ينبح، ابتسم «شارل» لهم وأخذ يُخاطب الكلب: «بلانش» ما هذا الذي تفعله إنهم ضيوفنا ... ثم نظر إليهم قائلًا: إنه فقط يُحييكم بوصفكم ضيوفًا لدينا لأول مرة ...

تقدم ناحية الكلب ثم ربطه في سلسلةٍ مُثبتةٍ في الحائط نظر إليهم مبتسمًا وقال: إنه لا يؤذي إلا في الليل، وأظن أننا بالنهار ...

ضحك الشياطين ثم تقدَّموا، استلقى «بلانش» وراح في نومٍ عميق. تبع الشياطين «شارل» إلى داخل الفيلا حيث قادهم إلى صالون رائع وقال: لحظة واحدة أدخل المعمل، ثم آتيكم ...

اختفى «شارل» ولم تمضِ دقيقة، حتى ظهرت سيدة عجوز، أدارَت عينَيْها بينهم ثم ابتسمت قائلة: صباح الخير يا أبنائي، هل تأخذون الشاي في الحديقة أو هنا؟!

قالت «هدى»: صباح الخير يا سيدتي، أظن أننا لو أخذناه هنا يكون أفضل ...

هزَّت السيدة رأسها ثم انصرفت. نظرت «هدى» إليهم وقالت: إننا لم نفطر بعد.

علت الدَّهشة وجوه الآخرين، ثم نظروا إلى بعضهم وابتسموا، لقد اكتشفوا في هذه اللحظة فقط أنهم لم يفطروا فعلًا.

قال «خالد» مُداعبًا: لعن الله «باركر» إنه السبب ...

ابتسم «باسم» وقال: لعلها الكاميرا السرية ...

عاد «شارل» مُسرعًا، كان يبدو مشغولًا، قال: دقائق، لقد وضعت الفيلم في التحميض لعلنا نظفر بشيء ...

عادت السيدة العجوز تحمل صينية عليها بعض «البيتي فور» بجوار فناجين الشاي. نظر الشياطين إلى بعضهم وابتسموا، ها هم يفطرون الآن.

وضعت السيدة العجوز الصينية أمامهم ثم انصرفت، قامتْ «هدى» وهي تنظر إلى «شارل» مُبتسمة: معذرةً إنها عادة بيننا أن أكون أنا بينهم كسيدة بيت.

ابتسم «شارل» وقال: هذه تقاليد رائعة، لقد فقدناها من زمن، إنكم في الشرق ما زلتم تحتفظون بها، وهذا شيء عظيم ...

أخذت «هدى» تُوزع فناجين الشاي ومعها قطع «البيتي فور». شرب الشياطين وشرب معهم «شارل» غير أنَّه لم يكمل فنجانه؛ فقد انصرف في اتجاه المعمل ... جلس الشياطين في هدوء، كانوا ينظرون إلى بعضهم بين الحين والحين، كانت حالة القلق تسيطر عليهم، إنَّ هذه فرصتهم الأخيرة، فهل تأتي كما يريدون؟

تأخر «شارل» وبدأت حالة عصبية تتملك «أحمد» تترجمها هزة حذائه التي لا تتوقف، لاحظت «هدى» ذلك، فابتسمت قائلة: يجب ألَّا تكون عصبيًّا إلى هذا الحد ... إنَّ المسألة سوف تنتهي بعد قليل. ظهر «شارل» يحمل الفيلم، وتعَلَّقت أعين الشياطين بتعبيرات وجهه، كانت تعبيرات وجهه تنطق بمعنى واحد؛ الفشل ... ذهب إلى النَّافذة، حيث يصبح الضوء أقوى ... تبعه الشياطين في هدوء ... مَرَّر الفيلم أمامهم، كان أبيض تمامًا تراجع الشياطين إلى مقاعدهم وظل «شارل» في مكانه أمام النَّافذة، كان لا يزال ينظر إلى الفيلم بإمعان وأخيرًا التفت إليهم قائلًا: إنَّ الفيلم يصبح أبيض تمامًا، عندما يتعرض لضوء، وإذا كان هناك مصدر ضوء في عين العدسة فإن الفيلم لا يظهر سوى بهذا اللون الأبيض، إننا عندما نصوِّر هدفًا، يكون كتلة غير مُشِعَّة، بمعنى ... أنَّ الضوء يكون حوله، ويكون هو كتلة سوداء، ولهذا يظهر على شريط الفيلم بلون أبيض، وعندما نطبعه على الكارت الحسَّاس يأتي في لونه الطبيعي، يحدث العكس عندما نصور مصدر ضوء، إنه يظهر في

الشريط أسود، وعندما نطبعه يظهر بلون أبيض؛ لأنَّ الشريط هو السالب، والصورة هي الموجب، وهو ما نسميه النيجاتيف، والصورة.

اقترب من الشياطين الذين كانوا يُتابعون كلامه، وعندما جلس بينهم، أكمل حديثه: في الفيلم الثاني … عندما جلستم معه لالتقاط صورة للذكرى ظهرتم أنتم ولم يظهر هو، وهذا يعني شيئًا واحدًا، إنه كان ثمة ضوء أو إشعاع يجعل مكانه خاليًا، فيظهر في النيجاتيف أسود، ويظهر في الصورة، أبيض، فماذا يمكن أن نستنتج من هذا؟

قال «أحمد» على الفور: إما أن «باركر» يملك خاصية الإشعاع أو أنه يحمل شيئًا مُشِعًّا يجعل تصويره مستحيلًا.

ابتسم «شارل» وقال: هذا استنتاج صحيح، وهذا يؤكد تفوق هؤلاء الرجال الذين يختفون، ويؤكد في نفس الوقت أنَّ «باركر» هذا واحد منهم.

قالت «هدى»: إذن فعلينا أن ننطلق الآن.

وقف الشياطين وبدءوا يأخذون طريقهم إلى الخارج، وتبعهم «شارل»، ثم استقلوا السيارة، وأخذوا طريقهم مرة أخرى إلى «باريس»؛ فقد كان عليهم أن يتوجهوا إلى ذلك الشارع الذي ذكره سائق التاكسي، ولم يكن «شارل» مُتعجِّلًا؛ ولذلك فقد انطلق بهدوء، ممَّا أعطى فرصة للشياطين لأن يستمتعوا بالريف الفرنسي الجميل، وعندما بدأت ضوضاء المدينة تظهر، نظر إليهم «شارل» وسأل: ما هو برنامجكم الآن؟

نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم قال «أحمد»: أعتقد أننا يجب أن نعود إلى «سان ميشيل»، إنه بداية طيبة للانطلاق إلى أي مكان …

أخذ «شارل» طريقه إلى «سان ميشيل» نفس الشارع الذي شاهد فيه «أحمد» أو تخيل أنَّ «باركر» داخل التاكسي، وعندما وصلوا إلى الشارع شكر الشياطين «شارل» الذي انطلق بسيارته، ووقفوا هم صامتين لحظة، قال «خالد»: أظن أنَّا جُعنا تمامًا، ويجب أن نأكل.

أخذوا طريقهم إلى أحد المطاعم القريبة، فتوقف «خالد» أمام أحد محلات التصوير، سأله «أحمد»: ماذا تريد؟

ابتسم «خالد» وقال: لا شيء، اسبقوني فقط إلى المطعم، واطلبوا لي مما سوف تأكلون.

أخذ الشياطين طريقهم إلى المطعم، وجلسوا حول منضدة قريبة من النَّافذة. اقترب منهم الجرسون فطلبوا الطعام لهم ولـ «خالد» أيضًا غير أنَّ الجرسون ابتسم وهو ينظر لهم، ففهم «أحمد» ابتسامته، وقال: معنا زميل لنا، سوف يحضر الآن. فابتسم الجرسون وانصرف.

كانت أعين الشياطين مشغولة بالبَحْث بين الموجودين، علَّهم يرَوْن «باركر» جاء لتناول الطعام مثلهم ... فانهمكوا في الأكل غير أنَّ «هدى» قالَت: لقد تأخَّر «خالد». ولم تكد تتم جملتها حتى ظهر «خالد» يحمل كاميرا كبيرة من نوع «البلوروید»، ذلك النوع الذي يُعطي الصورة في دقيقةٍ واحدة. وعندما جلس بينهم قال «أحمد» ضاحكًا: إنك تذكِّرني بهؤلاء المصورين الذين نراهم في الشوارع ...

ضحك الشياطين، وانهمك «خالد» في الأكل هو الآخر وبعد قليل رفع «باسم» رأسه عن الطعام ثم كتم صيحة جعلت الشياطين ينظرون في نفس اتجاه نظرته، وعلت وجوههم الدهشة ... ثم رفع «خالد» الكاميرا والتقط صورة، ثم نزع الكارت، وأمسك ساعة يده فبعد دقيقةٍ واحدةٍ ستظهر الصورة، وكان الشياطين جميعًا ينظرون إليها، وأجزاؤها تتضح شيئًا فشيئًا، ثم صرخ «باسم»: إنه واحد منهم!

وعندما رفعوا أعينهم في اتجاه الرَّجل، كان قد اختفى، وظلت أعينهم معلقة بالصورة؛ فقد كانت المساحة التي يشغلها الرجل من الصورة بيضاء تمامًا.

ثم كانت المفاجأة!

أسرع «أحمد» و«خالد» إلى خارج المطعم، فرأوا الرجل الأسمر وهو يركب سيارة، ثم انطلق بها مباشرة، فنادى «أحمد» أحد التاكسيات، ثم أشار إلى سيارة الرجل: نُريد أن نلحق بتلك السيارة المنطلقة أمامنا ...

سأل السائق: هل هناك شيء ...

أحمد: نعم، هناك قضية هامة ...

ضغط السائق بقدمه على بدال البنزين، فانطلقت السيارة بسرعة رهيبة، كانت السيارة الأخرى لا تزال أمامهم، وإن كانت تقف أمام سيارتَيْن، ظهرَت الإشارة الحمراء فتوقَّفت السيارات، إلا سيارة الرجل فقد تعدَّت الإشارة وانطلقت، شعر «أحمد» بالغيظ، وسأله «خالد»: هل قرأت رقم السيارة؟

أحمد: لم أستطع، لقد كانت مسرعة جدًّا، ولم أكن مُهْتمًّا بذلك قدر اهتمامي باللحاق بها.

مَرَّت دقائق قبل أن يتغير لون الإشارة، وعندما أصبحت خضراء انطلق السائق بسيارته، وعبثًا حاول «أحمد» أن يلمح سيارة الرَّجل الأسمر؛ فقد كانت هناك سيارات كثيرة تقطع الطريق في هدوء. وصلوا حتى نهاية الشارع ثم انحرفوا مع انحرافه، كان واضحًا أنه لا فائدة، قال «أحمد»: لا بأس، فلنعد إلى المطعم.

انحرف السائق، ثم أخذ طريقه إلى حيث كان المطعم، نزلا هناك وسارا إلى المطعم، كان الشياطين لا يزالون في مكانهم، حتى الطعام لم يكن أحد منهم قد أكمله ... فجلسا في هدوء، وسألت «هدى»: ماذا حدث؟!

أجاب «خالد»: لا شيء، لقد اختفى!

باسم: تعني أننا يقينًا سنلتقي بأحدهم؛ إذ يبدو أن «باريس» هي مكان تجمعهم!

لم ينطق أحدٌ وظلوا يأكلون حتى انتهَوْا من طعامهم، دفع «خالد» الحساب، ثم أخذوا طريقهم إلى الفندق ...

عندما ضمَّتْهم حجرة «أحمد» قال: أين الصورة؟

قدَّم «خالد» الصورة إلى «أحمد» الذي أخذ يتأمَّلها لحظة، ثم قال: كان يجب أن نسأل جرسون المطعم عنه ...

أخذ «باسم» الصورة نظر إليها قليلًا، ثم قال: إنَّ كل التفاصيل حوله واضحة، وهذا يؤكد نظرية «شارل» في أن هذا الرجل وزملاءه فيهم خاصية معينة تجعل تصويرهم مستحيلًا!

هدى: يجب أن نعود إلى المطعم، فلا بد أن غيرَه سوف يذهب إليه ...

باسم: ليس بالضَّرورة ... لا بُدَّ أنهم سوف يتحاشون منطقتنا كلها، ما دُمنا قد ظهرنا أمامهم ...

بعد قليل انصرف الشياطين كلٌّ إلى حجرته، على اتفاقٍ باللقاء في الخامسة ... عندما أصبح «أحمد» وحده فكَّر هل يرسل رسالةً إلى رقم «صفر» يُخبره بما حدث، أو ينتظر حتى نتيجة أخرى في النِّهاية ... أخرج جهاز اللاسلكي ثم أرسل إلى رقم «صفر»: من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: إنَّ الرجال هنا، التفاصيل سوف يُرسلها «شارل».

بعد لحظات جاءه الرد: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» وصلتنا التفاصيل. هناك معلومات مع «شارل» سوف تُبلَّغ لكم.

حاول «أحمد» أن ينام لكنه لم يستطع، لقد كانت رسالة رقم «صفر» مؤرِّقة، أخرج كتابًا وأخذ يقرأ، غير أنه لم يستطع الاستمرار، فرفع سماعة التليفون ثم طلب «شارل»، ورد طفلٌ صغير، فقال «أحمد»: هل السيد «شارل» موجود؟! جاءه صوت الطفل: بابا قد خرج منذ قليل، هل يمكن أن أخبره بشيء؟

ابتسم «أحمد» وقال: شكرًا يا عزيزي، فقط أخبِرْه أنَّ «أو» قد اتصل به ... قال الطفل بصوته الرقيق: «أو» ماذا تعني؟

ابتسم «أحمد» وقال: إن بابا سوف يعرف، إلى اللقاء.

وضع سماعة التليفون، بعد أن سمع الطفل يقول: إلى اللقاء يا سيدي ... لم يكد «أحمد» يضع سماعة التليفون حتى كان «شارل» يطرق الباب، ثم يدخل. ابتسم «أحمد» قائلًا: كنت أتحدث إلى طفلك العزيز الآن!

ابتسم «شارل» وقال: «شارل» الصغير، إنه رائع.

ضحك «أحمد»: إنه رائع فعلًا ...

شارل: لقد وصلتني رسالة من رقم «صفر» منذ قليل.

أحمد: نعم، لقد كنت أتحدث إليه ...

شارل: انتقل نشاط الرِّجال إلى خارج «أوروبا»، والمطلوب الاتجاه إلى حيث نشاطهم الجديد ...

أحمد: لقد رأينا أحدهم اليوم ...

شارل: اليوم؟!

أحمد: نعم، في أحد مطاعم «سان ميشيل» ...

أخذ «أحمد» يشرح له ما حدث، فارتسمت الدَّهشة على وجه «شارل»، ثم قال: لا بأس، إن ما يحدث هنا سوف يُفيدنا بالتأكيد، عليكم أن تتجهوا إلى حيث نشاط هؤلاء الرِّجال الذي لا نعرفه حتى الآن ...

أحمد: أين مجال نشاطهم الآن إذن؟!

شارل: في أمريكا الجنوبية ...

ظهرت الدَّهشة على وجه «أحمد»، ثم قال: الجنوبية؟! كان يجبُ أن نفكِّر في ذلك من البداية؛ فأهل أمريكا الجنوبية لهم نفس الملامح!

شارل: لقد حجزت لكم على طائرة منتصف الليل، فعليكم أن تكونوا جاهزين وهناك سوف تجدون أحد الزملاء ... صمت «شارل» قليلًا ثم قال: هذا رقم تليفونه ... ثم قدم ورقة صغيرة لـ «أحمد»، فأخذها وقرأ الرقم فيها، ثم دسها في جيبه. قال شارل: تحياتي للأصدقاء، وأرجو لكم التوفيق.

انصرف «شارل» واستغرق «أحمد» في التفكير قليلًا، لقد تذكر كتاب «التاريخ القديم للعالم» قال في نفسه: إنَّ ذلك سيعني شيئًا مما قاله «خالد» من قبل! قطع تفكيره صوتُ الباب يُفتح كان «باسم» بالباب، فتذكر موعد السفر عند منتصف الليل ... قال «باسم»: لم أستطع النوم، فجئت إليك!

قال «أحمد» في هدوء: ينبغي أن نستعد للسفر، هناك تذاكر طائرة في انتظارنا ...

اجتمع الشياطين وحكى لهم «أحمد» ما دار بينه وبين «شارل»، أسرعوا جميعًا يجهزون حقائبهم، ودَقَّ جرس التليفون فأسرع «خالد» إليه، وجاءه صوت «شارل» يقول: سوف أكون عندكم في العاشرة مساءً، أرجو أن تكونوا جاهزين ...

عندما أتمت الساعة التاسعة والنِّصف، كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى صالة الفندق في انتظار «شارل»، جلسوا وأعينهم على الباب ... مرَّت دقائق ثم فجأة فُتح الباب،

وظهر أحد الرِّجال كان يبدو جادًّا تمامًا، أخذ طريقه إلى المصعد ثم اختفى داخله. لم يكن يلفت النَّظر إليه إلا تلك الجدية المرتسمة على وجهه، غاب قليلًا ثم عاد يحمل حقيبةً صغيرةً وانصرف. قالت «هدى» مُبتسمة: «خالد»، هل يمكن أن تلتقط لي صورةً بجوار هذا التمثال.

كان هناك تمثالٌ لـ "فينوس" إلهة الجمال عند الإغريق، يتوسط قاعدة صغيرة أمام باب المصعد، أخرج «خالد» الكاميرا واتجه مع «هدى» إلى حيث يوجد التمثال، وقفت «هدى» ووقف «خالد» أمامها يلتقط الصورة ... مرَّ رجلٌ يلبس معطفًا وقبعة، ويضع على عينيه نظارة سوداء سميكة، وكانت خطوته واسعة، لكنه كان خلف «هدى» تمامًا، عندما التقط «خالد» الصورة عادا معًا إلى حيث الشياطين، وأخرج «خالد» الصورة، ثم بدأ يعرضها للضوء، وأخذت الصورة تظهر شيئًا فشيئًا ... ثم فجأة قفز «خالد» في اتجاه الباب واختفى ... أمسك «أحمد» بالصورة، ثم تبعه جريًا ... أمسك «باسم» بالصورة، وظهرت الدهشة على وجهه ... قالت «هدى»: ماذا حدث؟ قدم لها «باسم» الصورة، وما إن وقعت عيناها عليها، حتى علَت الدهشة وجهها. كانت خلفية الصورة بيضاء، وهذا يعني أنَّ الرجل الذي مر خلفها هو أحد هؤلاء الرِّجال ... أسرع «باسم» إلى الباب، في نفس اللحظة التي دخل فيها «شارل» مُبتسمًا، اصطدم «باسم» به حتى إنه قال: ماذا هناك؟

باسم: أحدهم!

ابتسم «شارل» وقال: أين باقي الأصدقاء؟

باسم: لقد تبعاه.

أخذ «باسم» يحكي له ما حدث، ولم يكد ينتهي حتى ظهر «أحمد» و«خالد» معًا ... كان يبدو عليهما الضيق، فقال «شارل» مُبتسمًا عندما رآهما: لا بأس، إن هذه خطوة هامة، لا تنزعجوا!

حمل الشياطين حقائبهم، وأخذوا طريقهم إلى سيارة «شارل» التي تقف في الخارج، وأخذوا أماكنهم فيها، وانطلق «شارل» إلى مطار «ديجول».

كانت الشوارع خالية تقريبًا، سأل «باسم»: هل اليوم عطلة؟ ... ضحك «شارل» وقال: لا! ... غير أنَّ الباريسيين ينامون مبكرًا، ودائمًا لا يسهر في «باريس» سوى السيَّاح، فإن طبيعة الفرنسي أن ينام مبكرًا حتى يستيقظ مبكرًا للعمل، لكنه ينال إجازته جيدًا، ويقضيها بطريقةٍ تفيده طوال الأسبوع ...

صمت الجميع، وأخذت السيارة تتهادى في طريقها حتى المطار ... كان مطار «ديجول» مضيئًا كأنه النهار، نزل الشياطين وأخذوا طريقهم إلى الداخل، فتركهم «شارل»

لحظة أحضر فيها تذاكر السفر، ثم عاد إليهم، قدَّم التذاكر إلى «أحمد» وهو ينظر في ساعة يده، كانت قد تجاوزت العاشرة بنصف ساعة، وقال: أتمنى لكم رحلة مُوَفَّقة، وأن أسمع أخبارًا طيبة ... ودَّعهم «شارل» ثم انصرف ... لم يكن أمام الشياطين سوى أن يدخلوا السوق الموجودة في المطار؛ لمشاهدة الأشياء المعروضة. كان هناك كثيرون يشترون، لكن الشياطين، لم يفكر واحدٌ منهم في شراء شيء، فهم في حاجة إلى سُرعة الحركة، وخِفَّة ما يحملون، طافوا طويلًا بأرجاء السوق حتى دقَّت ساعة المطار مُعلِنةً الحادية عشرة والنصف، فنظر «أحمد» في ساعة يده، وكانت مُختلفة عن ساعة المطار؛ فتذكر أنَّ هناك فارقًا في التوقيت. وعندما أعلنت إذاعة المطار عن وصول الطائرة المُسافرة إلى أمريكا، أخذ الشياطين طريقهم إلى أرض المطار، وخلال ربع ساعةٍ كانوا يجلسون داخل الطائرة. كانت «هدى» تشعر بالتعب؛ ولذلك فما إن جلست حتى تمدَّدَت في الكرسي وكأنها سوف تستغرق في النوم، نظر لها «أحمد» الذي كان يجلس بجوارها ثم قال: أظن أنكِ متعبةٌ تمامًا ... ودون أن تفتح عينَيْها قالت: في منتهى التعب. سكت «أحمد» ثم حَوَّل عينَيْه إلى حيث «خالد» و«باسم» كان الاثنان منهمكين في الحديث، نظر «باسم» إليه وابتسم، ثم استغرق في حديثه، قال «باسم»: أعتقد أن هناك علاقةً بين أوَّل رجلٍ رأيناه مستر «باركر» وبين الكتاب الذي كان يقرؤه ... ثم بينه وبين الآخرين ...

خالد: أعتقد ذلك، خصوصًا وأنَّ أمريكا الجنوبية كانت لها حضاراتٌ قديمةٌ اندثرت، ومن يدري قد يكون هؤلاء الرجال من نسل إحدى هذه السلالات القديمة التي كانت لها حضارات ... اندثرت ...

باسم: هل تذكر آخر رسالة وصلت رقم «صفر» ونحن في المقر السري؟

خالد: تلك التي تحدَّثَت عن هذا الرجل الذي يظهر ويختفي، ثم يختفي خلفه الآخرون؟

باسم: بالضبط، أعتقدُ أنَّ هذا الرجل يمثِّل الزعيم بالنسبة لهم ...

اقترب «أحمد» منهما، غير أنَّ المذيعة الداخلية للطائرة قالت: نرجو أن تربطوا الأحزمة، سوف نبدأ رحلتنا الآن ...

أسرع «أحمد» بالعَودة إلى كرسيه، وكانت «هدى» قد استغرقت في النوم. أمسك «أحمد» حزامها، ثم بدأ يربطه، غير أنها استيقظت، ثم ابتسمت له وتركته يكمل ربط الحزام، ربط حزامه هو الآخر، ولم تمضِ دقيقة حتى تحرَّكت الطائرة. أسرعت الطائرة، حتى دارَت دورة كاملة، ثم توقفت لحظة وارتفع صوت محركاتها. كانت وكأنها قد أُصيبَت بالحمى، بدأت سيرها مرة أخرى ثم شعر الشياطين بها ترتفع، وترتفع، حتى استوَتْ تمامًا في

مسارها، جاء صوت المذيعة يتمنَّى لهم رحلة طيبة، فَكَّ الشياطين الأحزمة، وقام «أحمد» إلى حيث «خالد» و«باسم» وكانت «هدى» لا تزال مستغرقةً في نومها، ابتسم «أحمد» وقال لهما: إنها رحلة إلى المجهول ... «خالد»: نحن دائمًا نتعامل مع المجهول.

ابتسم «أحمد» بينما قال «باسم»: ليست هذه أول مرة نرحل فيها إلى أمريكا الجنوبية؛ فقد كانت لنا مغامرات رائعة في الأرجنتين.

سمع «أحمد» صوت خطوات تقترب، فالتفت خلفه كان هناك رجل يمر، لم يره «أحمد» جيدًا، فعاد إلى الحديث مع «خالد» و«باسم»، غير أنه التفت إليه مرة أخرى؛ فقد كان الرجل طويلًا، ظل يتابعه بعينيه حتى اختفى عند مؤخرة الطائرة. نظر «خالد» و«باسم» إليه، وسأله «خالد»: هل هناك شيء؟! هز «أحمد» رأسه وقال: لا أظن ... ثم تحدث الثلاثة قليلًا، كانت عينا «أحمد» تلحظ اتجاه الرجل بين لحظة وأخرى، ثم فجأة ظهر الرجل، فارتسمت الدهشة على وجه «أحمد» فقال «خالد»: ماذا هناك؟

أحمد: حاول أن تلتقط لي صورة، عندما يمر هذا الرجل خلفي ...

أعطى «أحمد» ظهره للرجل، ثم وقف مُتبسمًا، بينما كان «خالد» يضبط الكاميرا على الرجل نفسه، وعندما اقترب تمامًا من «أحمد» ضغط مفتاح الكاميرا، فلمع ضوؤها بشدة جعلت الرجل يغمض عينيه، وعندما مر بجوارهما قال له «خالد»: معذرةً يا سيدي لم أكن أقصد ذلك ... ابتسم الرجل، ثم استمر في طريقه ... جلس «خالد» وأخرج الصورة بسرعة. نظر في ساعة يده ثم بدأ يتتبع عقرب الثواني. كان العقرب يقفز، وبدأت تفاصيل الصورة تظهر، وكاد «أحمد» يصرخ للمفاجأة ...

إمبراطورية «ألانكا» الأعظم!

لقد ظهر «أحمد» في جانب الصورة، وظهرت معه تفاصيل الطائرة من الداخل، أمَّا المساحة التي كان يحتلها الرجل فكانت بيضاء تمامًا ... هذا الرجل إذن منهم، إنه أحد الرجال النابهين ... نظر «أحمد» في اتجاه الرجل لم يكن يظهر تمامًا، وفكر لحظة، ثم قال: يجب أن أعقد معه صداقة بسرعة، إنَّ أمامنا فرصةً ذهبيةً الآن، والوقت طويل، ولن يشك الرجل فينا ...

صرخ «خالد» صرخةً جعلت ركاب الطائرة يقفون جميعًا في ذعر، واقترب أكثر من واحدٍ منهم، وألقى «خالد» نفسه على الأرض، فانحنى «أحمد» و«باسم» عليه، واستيقظت «هدى» مذعورة، ثم أسرعت إليهم. كان «خالد» يتلوَّى من الألم، وهو يزداد صراخًا، جاء كابتن الطائرة، وما إن رأى ألم «خالد» حتى حمله بين ذراعَيْه إلى مُقدمة الطائرة، كان الرجل الأسمر يقف وعيناه على ما حدث، واقترب منه الكابتن وهو يحمل «خالد» وحوله الشياطين، فقال الرجل: ماذا حدث؟ ... رد الكابتن: إنه يتألم، ولا أعرف بالضبط لماذا، غير أني سأحاول في صيدلية الطائرة ...

الرجل: دعه لي ... ثم حمل الرجل «خالد» ومدده على كرسي، وبدأ يكشف عليه، كان «خالد» لا يزال يتلوى من الألم، وسأله الرجل: أين موضع الألم؟

فأشار «خالد» إلى بطنه، فمد الرجل يدًا خبيرة، وأخذ يتحسس مكان الألم ... ثم قال: لا شيء هنا! ... قال «خالد» بصوت متألم: هنا في أسفل البطن ... مد الرجل يده، ثم بدأ يتحسس مكان الألم، وابتسم ابتسامة بدت هادئة تمامًا، ثم قال: إنه تقلص عصبي في «القولون» رُبَّما بتأثير الرحلة! ... ثم نظر إلى «أحمد» وسأله: هل هذه أول مرة يسافر فيها؟

رد «أحمد»: أبدًا، إننا دائمًا نسافر ...

ابتسم الرجل وقال: أقصد بالطائرة ... نظر «أحمد» إلى «خالد» الذي كان لا يزال يتألَّم، ويتلوى من الألم، ثم قال: لا أظن، فنحن نسافر بالطائرة كثيرًا ...

قال الرجل: لا بأس، إنها مسألة بسيطة ... ثم جذب «خالد» برفق، فقام معه وهو يُمسك بطنه بيديه، ونظر الرَّجل إلى الكابتن، ثم قال: أرجو أن تأخذني إلى صيدلية الطائرة؛ فقد أجد فيها شيئًا يُفيده ... مشى «خالد» مع الرجل يسبقهما الكابتن، نظر «أحمد» خلفه فلم يجد سوى «هدى»، فنظر إليها قليلًا، فابتسمت، ثم هزت رأسها قائلة: نعم إنه هناك ... تقدم الاثنان خلفهما، وكان ركاب الطائرة قد عادوا إلى أماكنهم. دخلوا الصيدلية. أخذ الرَّجل يقرأ أسماء الأدوية الموجودة، ثم أخذ منها زجاجة فتحها، وأخرج منها قرصَيْن قدمهما لـ «خالد»، وأسرع الكابتن بإحضار كوب ماء، ابتسم الرجل وقال: الآن، سوف تُصبح على ما يرام!

ابتلع «خالد» القرصَيْن، وقال الرجل: حبَّذا لو شرب شيئًا ساخنًا ... وعندما كاد الرجل ينصرف، قال له «أحمد»: إنني نيابةً عن صديقي أشكرك كثيرًا غير أني كنت أود أن أسألك سؤالًا ...

ابتسم الرجل وقال: تفضل ...

أحمد: هل أنت طبيب؟

الرجل: نعم، لماذا؟!

أحمد: فقط كنت أطمئن؛ فكثيرًا ما تحدث بعض الأخطاء نتيجة الأدوية، أو تشخيص العلاج ... ضحك الرجل بعمق، وقال: اطمئن، إنني جراح ...

أحمد: إنني سعيد بلقائك يا سيدي! ... حَيَّاه الرَّجل وانصرف ... كان «خالد» يقف هادئًا، نظر «أحمد» إليه في دهشة: ما هذا، هل شربت سحرًا؟! ...

ابتسم «خالد» وهو ما زال يتألَّم، ثم سار وهو يضع يده على بطنه، جاء الكابتن يحمل كوبًا من الشاي، وكان «خالد» قد استقرَّ في كرسيِّه، فشكر الكابتن وهو يقول: لقد أصبحت بخيرٍ الآن ... ثم نظر إلى «باسم» وقال: أليس كذلك يا «باسم»؟!

ابتسم «باسم» وقال: أظن ذلك، بعد قليلٍ سوف تكون أحسن ...

تمنى له الكابتن الشفاء ثم انصرف ... نظر لهم «أحمد» فضحكت «هدى»: نعم، كل شيء على ما يُرام ...

قال «أحمد» في دهشة: إنني لا أفهم شيئًا ...

ضحك «خالد» وقال: أشكرك جدًّا، إنني أعرف أنك اضطربت من أجلي، لكن المسألة كانت غير ذلك.

ثم مال برأسه على أذن «أحمد» وأخذ يهمس، بينما كان وجه «أحمد» تظهر عليه الدهشة مع كل كلمة يسمعها، وفي النهاية استغرق في الضحك، وجذب شعر «باسم» مُداعبًا، ثم أخذ طريقه إلى مقعده تتبعه «هدى»، وأخذت مكانها. كان «أحمد» لا يزال يضحك في هدوء، بينما استسلمت «هدى» لمُشاهدة النجوم من نافذة الطائرة. كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحًا. شعر «أحمد» بالرغبة في الراحة، بينما كان ركاب الطائرة جميعًا قد استغرقوا في النوم … أطفأ «أحمد» النور بجواره، ثم استسلم للتفكير … كان لا يزال يفكر فيما قاله «خالد»، وما فعله «باسم». مالت «هدى» في اتجاه «أحمد» وقالت: إنها خطةٌ ذكيةٌ أليس كذلك!

أحمد: أرجو أن تكون النتيجة جيدة. أخذا يتحدثان حتى شعر «أحمد» بالرَّغبة في النوم، غير أنَّ «هدى» كانت قد أصبحت نَشِطة تمامًا، بعد أن نامت في البداية، نظر إليها «أحمد» مبتسمًا وقال: عليكِ أن تقومي بالحراسة، ما دمتِ يقظةً إلى هذا الحد …

ضحكت «هدى» في هدوء وأجابت: نَمْ، دون كلامٍ كثير …

أغمضَ «أحمد» عينيه، وبدأ النعاس يتسرَّب إليه … كان يشعر بالراحة، أخيرًا، سوف ينتهي الكشف عن هذا اللغز المُحَيِّر … هكذا كان يفكر، غير أنَّه قال في نفسه: لعل الفيلم لا يكون أبيض هذه المرة … ثم استغرق في النوم …

ظلت «هدى» مُستيقظة. كانت تراقب النجوم، ثم تنظر إلى وجه «أحمد» الذي كان يبتسم وهو نائم … مضت حوالي الساعة، وبدأت «هدى» هي الأخرى تشعر بالرَّغبة في النَّوم، وأخذت تقاوم، ولكن النعاس غلبها في النِّهاية.

وعندما استيقظ الشياطين، كانت الحركة نشطةً في الطائرة أطباق توضع وأطباق تُرفع، وكلمات كثيرة تُقال واقتربت المضيفة من «خالد» فسألها: متى نصل؟ نظرت المضيفة في ساعة يدها ثم قالت: أمامنا نصف ساعة بالضبط …

تناول الشياطين طعام الإفطار، ثم قام «خالد» مُتَّجِهًا إلى حيث يوجد الرجل الأسمر، وكان الرجل يُدخن في هدوء، وما إن رأى «خالد» حتى ابتسم قائلًا: كيف حال صديقنا اليوم؟

خالد: بخيرٍ يا سيدي، إنني أشكرك جدًّا. لقد ارتحت تمامًا! فهزَّ الرجل رأسه، وقال مُبتسمًا: أتمنَّى لك رحلة طيبة …

شكره «خالد» وعاد. جاء صوت مذيعة الطائرة: إننا الآن نقترب من «ريو دي جانيرو»، نرجو أن تكون الرحلة طيبة، الكابتن وطاقم الطائرة يهنئونكم بسلامة الوصول، نرجو ألَّا تنسوا ربط الأحزمة …

نظر الشياطين إلى بعضهم، ها هي الرِّحلة قد انتهت أخيرًا ... قام «أحمد» من مكانه، ثم أخذ طريقه إلى حيث كابتن الطائرة، حيَّاه، ثم سأله: هل يوجد طيران إلى «بيرو»؟ ابتسم الكابتن وقال: بالتأكيد، غير أنَّها رحلة أخرى طويلة، ينبغي أن تقفوا يومًا في «ريو دي جانيرو»، ثم ترحلون غدًا إلى «بيرو» ... فشكره «أحمد» وعاد، وأخبر الشياطين، فقال «باسم»: إن هذا يتوقَّف على صديقنا الجالس في الأمام ... بدأَت الطائرة تأخذ طريقها في النزول إلى أرض المطار، غير أنَّ ذلك لم يكن يشغل الشياطين تمامًا، كان الذي يشغلهم هو الرجل الأسمر ... خلال عشر دقائق، كانت الطائرة تهدأ تمامًا على الأرض، وبدأ المسافرون يُغادِرون أماكنهم، انتظر الشياطين حتى ظهر الرجل الأسمر الذي ابتسم لهم، وعندما كان بجوارهم تمامًا قال: إلى أين سيذهب الأصدقاء؟

أجاب «خالد»: سوف نقضي اليوم في المدينة، ونرحل غدًا إلى «أورجواي».

هز الرجل رأسه، ثم قال: إنني أنتوي أيضًا قضاء اليوم هنا، غير أنني سوف أقوم برحلة أطول قليلًا منكم ... ثم أخذ الرجل طريقَه بعد أن حيَّاهم، فتبعوه ونزلوا خلفه، وأخذ الجميع طريقهم إلى خارج المطار. كان الشياطين حريصين على أن يظلَّ الرجلُ تحت أعينهم، وقف الرجل قليلًا، فأسرع «أحمد» إلى أقربِ تليفون، ثم اتصل بالرقم الذي أعطاه له «شارل»، وعندما سمع صوت الطرف الآخر قال: كوكب. جاءه الصوت الآخر: أهلًا بك، أين أنتم؟ ...

أحمد: في المطار، ونحتاج حضورك حالًا ...

أجاب: إنني قريبٌ منكم جدًّا، خلال دقيقتَيْن سوف أكون بينكم ...

وضع «أحمد» السماعة، ثم انصرف بسرعةٍ إلى حيث يقف الشياطين، كان الرجل لا يزال يقف هناك. مرَّت دقيقتان، ومع نهايتهما توقَّفَت سيارةٌ ضخمة، نزل منها رجلٌ أنيق تمامًا، نظر حوله لحظة، حتى وقعت عيناه على الشياطين، فاتجه إليهم مُبتسمًا، وعندما وقف بينهم قدم نفسه: «جيمس ثاباجوس» وينادونني «ثابا».

حيَّاه الشياطين، قال له «أحمد» همسًا: هذا أحدهم ...

علَت الدهشة وجه «ثابا» ثم قال: هذه حقيقة؟

أحمد: نعم ... إنها حقيقة ...

تشاغلوا قليلًا حتى وصلت سيارةٌ داكنة اللون، وقفت أمام الرجل الأسمر ... كانت عليها علامةٌ لفتت نظر الشياطين؛ «الفأر الصغير» ... ركب الرجل بسرعة، ثم انطلقت السيارة، وخلفها انطلقت سيارة الشياطين و«ثابا» ... ظلوا يتابعون سيارة الرجل، حتى

توقفت أمام عمارة شاهقة، ثم نزل الرجل ودخل العمارة مباشرةً، قال «ثابا»: لا بأس، نستطيع أن ننصرف الآن، واتركوا لي الباقي …

قال «باسم»: لدينا فيلم نُريد تحميضه وطبعه الآن سريعًا …

ابتسم «ثابا» وقال: من تلك الأفلام التي تعطي نتيجةً بيضاء …

ضحك الشياطين وقال «خالد»: نرجو أن تكون النتيجة جيدةً هذه المرة. وانطلق «ثابا»، حتى توقَّف أمام مبنًى صغير، ثم قال: هيا، هنا المعمل الخاص بنا. فنزل الشياطين بسرعة، ودخلوا المعمل خلفه، وقدم له «باسم» الفيلم فأخذه واختفى … ضحك الشياطين، وقال «خالد»: لقد كانت حيلة بارعة، أليس كذلك؟

أحمد: بلا شك، غير أنني لم أستطع أن أفهمها بسرعة، لقد تصورت أن المسألة حقيقية، وأنك مُتَألِّم فعلًا!

خالد: لقد رأيت الرجل يقرأ كتابًا، مثل الكتاب الذي كان يقرؤه «باركر» «التاريخ القديم للعالم»، وقلتُ إن المسألة تحتاج إلى حيلةٍ تجعله ينسى الكتاب … وصرخة في الطائرة، تجعل الجميع ينسون كل شيء … غمزت إلى «باسم» الذي فهمني بسرعة، وكذلك «هدى»، ثم صرخت، وحدث ما حدث …

أحمد: و«باسم»؟

باسم: عندما تحرَّك الرجل مع «خالد» إلى صيدلية الطائرة، كان الكتاب مقلوبًا فوق الكرسي؛ فقد كان الرجل يجلس وحده … وبسرعة، قمت بتصوير بعض صفحاته، بعد أن قرأتُ كلمات سريعة منه. كذلك، وجدت فيه خريطة قمت بتصويرها، ثم تركتُ الكتاب، وعدتُ إلى مقعدي … استغرق الشياطين في الضحك، بينما عاد «ثابا» يحمل الفيلم بين يديه قائلًا: إنَّ هذه صفحات كتاب، وخريطة! … تنفَّس الشياطين بعمق، ثم صاح «خالد»: عاش الألم … ضحكوا جميعًا، بينما كان «ثابا» ينظر لهم في دهشة … قال «أحمد»: هل لديك مكبر وشاشة؟ إننا نُريد أن نقرأ ما في الكتاب، إنَّ هذا هو انتصارنا الحقيقي.

وبدأ يعرض الفيلم على الشاشة، وأخذ الشياطين يقرءون تلك الصفحات التي ظهرَت جيدًا على الشاشة: إن «ماهشوبيكشو» مدينتنا العريقة القديمة يجب أن تعود، لقد كانت مملكتنا العظيمة التي بُنيَت حوالي عام ٩٣٨م تضم معظم الدول الموجودة الآن، حول جبال «الأنديز». لقد كانت إمبراطورية «ألانكا»، حوالي عام ١٤٥٠م تضم «بيرو»، ومعظم «إكوادور»، و«بوليفيا»، والأجزاء الشمالية من «شيلي»، و«الأرجنتين». إنني قد طرت أنحاء العالم كله، لأجمع من جديد شمل أحفاد «ألانكا» العظيم، لتعود مملكتنا من جديد … إننا

سلالة ملوك، لم يعرف التاريخ مثلهم، ولقد اندثرت مدينتنا، لكن آثارها لا تزال باقية ... لقد بحثتُ كثيرًا في كتب التاريخ، والآثار، حتى عرفتُ أنَّ هناك علامةً تُميِّزنا جميعًا؛ هي علامة الفأر، إن هؤلاء هم أبناء «ألانكا» الأعظم، الذي حكم العالم في هذه البقعة من الأرض، ولقد اكتشفت خلال رحلاتي في طول العالم وعرضه، أن أحفاد «ألانكا» العظيم، كلهم من نوابغ العالم، لهذا دعوتكم لنلتقي في مدينتنا الخالدة «ماهشوبيكشو» ... إنَّ «ماهشوبيكشو» مدينة الأجداد العظماء، تلك التي علَّمت العالم يجبُ أن تعود ... وأمامكم خريطة لملكتنا القديمة، وعلى يمين الخريطة سهمٌ يُشير إلى مكان اللقاء، لقد كتب لكم الكتاب بالإنجليزية، لكن الخريطة قد كتبتها بلغة «ألانكا» العظيم، تلك اللغة السامية القديمة، فلا يتأخر أحدكم.

انتهت الصفحات التي صورها «باسم» ثم ظهرت الخريطة، وكانت بالغة التعقيد ... نظر الشياطين إلى بعضهم وقال «خالد»: هل نرسل رسالةً إلى رقم «صفر» نخبره فيها بما حدث، أو نطير إليه؟

أحمد: أظن أنه يجب أن نُرسل إليه، فربما تكون هناك تعليماتٌ أخرى ...

وبسرعة، أرسل «أحمد» رسالةً شرح فيها كل شيء، وما عثروا عليه ... وكان رد رقم «صفر»: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س». انتظروا التعليمات.

قال «ثابا»: أعتقد أنه من الأحسن لنا، أن نخرج إلى الحديقة الخلفية للمعمل، في انتظار تعليمات رقم «صفر» ... إنَّ لدينا حديقة رائعة.

وافق الشياطين، ومن خلال ممر ضيق، مشى الواحد خلف الآخر، حتى ظهر باب الحديقة، كانت رائعةً فعلًا. ألقى «أحمد» نفسه على الحشائش فصاح «ثابا»: ماذا تفعل أيها الصديق؟

ضحك «أحمد» قائلًا: لقد اشتقت للأرض ... ضحك «ثابا» أيضًا وهو يقول: خذ منها ما تشاء ... إنها أرض الله ... فضحكوا جميعًا ...

مرَّت نصف ساعة، شربوا خلالها الشاي، ثم جاءت رسالة رقم «صفر»: من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... لا تزال هناك بقية، انتظروا التعليمات بعد أيام ... عندما انصرف الشياطين إلى سيارة «ثابا» كانوا يحلمون بالراحة مؤقتًا ... في انتظار أن تبدأ مغامرتهم الكبرى.

هنـــداوي